آليات الخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية "السلالم الحجاجية أنموذجا"

Techniques The Argument Discourse Between Imam Ali and Muawiyah". (Argumentation ladders as a Model)

الدكتور: محمد موسى الوديان

إربد- الأردن

mohammedalwedyan88@yahoo.com

تاريخ الاستلام:2020/10/18 تاريخ القبول:2020/11/09 تاريخ النشر: 2020/11/14

ملخص:

تناول البحث السلالم الحجاجية في الخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان فوقف على السلالم الحجاجية الموظفة من قبل الخطيبين، مبينا الدور الحجاجي الذي تضطلع به داخل الخطاب، وكاشفا عن الأثر الذي تركته في عقول المتلقين ونفوسهم.

كلمات مفتاحية: الحجاج، السلالم الحجاجية، الخطاب الحجاجي.

Abstract:

This study dealt with the argumentation ladders in disagreement Discourse s between Immam Ali bin Abi Taleb and Muawiya ibn Abi Sufyan, in order to explore the argumentation ladders employed by both of them, reveling the argumentation role of those means.

Key words: The argumentation, Argumentation ladders, The Argument Discourse.

مقدمة :

شهدت الدراسات اللغوية تطورا واضحا مسّ مختلف مستويات التحليل اللسانية، حيث تعدى اللسانيون حدود الجملة باعتبارها البنية الكبرى إلى الكيان اللغوي الأوسع وهو النص، فاتخذوه موضوعا للدراسة والتحليل، ولعل تحليل الخطاب الحجاجي من أبرز نتائج هذه التحول، ويعدّ تحليل الخطاب الحجاجي مدخلا ضروريا لمقاربة

النصوص ذات الصبغة الإقناعية، فضلا عن كون الحجاج أبرز الاستراتيجيات التي تهتمّ بها التداولية في إطار دراسة البعد الاستعمالي اللغوي، للكشف عن الجانب الوظيفي للخطاب الأدبي، ومن هنا وصف الحجاج بأنه: "فعل علائقي يبرر به صاحبه أنماط أفعاله بالحجج والبراهين، عبر شبكة من الأقوال أو التعابير الحاملة لصور حجاجية(1).

أهمية الدراسة: للبحث أهمية تتمثل في مواكبة الدراسات الحجاجية الحديثة، وتطبيقها على منجز تراثي تمثله خطب الإمام علي وخطب معاوية، وفي ذلك ربط للتراث العربي بالدراسات المعاصرة.

مشكلة الدراسة : تتمثل مشكلة الدراسة في الكشف عن السلالم الحجاجية، المستخدمة في الخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان"، ودورها في التأثير في المتلقين وإقناعهم.

أسئلة الدراسة : تطرح الدراسة جملة من الأسئلة تتمحور حول السلالم الحجاجية في خطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية" ، كما يأتي:

- ما المقصود بالخطاب الحجاجي ؟
- ما المقصود بالسلالم الحجاجية؟
- ما الدور الحجاجي الذي قامت به هذه السلالم الحجاجية في التأثير في المتلقين؟

منهج الدراسة : تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في الإجابة عن التساؤلات المطروحة، حيث يصف الظواهر، ثم يقوم بعملية التحليل استنادا على الآليات المعتمدة.

أهداف الدراسة :

- الوقوف على السلالم الحجاجية المستخدمة في خطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية.
- بيان الدور السلالم الحجاجية في العملية الحجاجية عند الخطيبين، وأثرها في المتلقين.

حدود الدراسة : تتمثل حدود الدراسة في الاقتصار على نماذج من خطب الإمام علي ومعاوية "، وقد وردت هذه الخطب في كتاب(جمهرة خطب العرب في العصور الزاهرة) لأحمد زكي صفوت، الجزء الأول، ط1، 1933م.

بعض الدراسات السابقة:

- السلالم الحجاجية في قصص القرآني، الجزائر، جامعة وهران، للباحثة بوسلاح فايزة

- المقاربة التداولية لبنية الخطاب الوعظي الحجاجي "خطبة الإمام علي أنموذجا" للباحث يوسف نجعوم، جامعة أم البواقي.

-السلم الحجاجي في الخطاب الشعري- نماذج من شعر عز الدين ميهوبي- للباحثة فوزية زيار.

ينقسم البحث حسب مقتضيات الدراسة كالآتي:.

مقدمة: تناولت أهمية البحث، والمنهج المتبع في الدراسة، وأسئلة الدراسة، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: السياق الاجتماعي للخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان".

المبحث الثاني: الخطاب الحجاجي(أسسه وخصائصه وضوابطه) .

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية ودورها في العملية الحجاجية0

المبحث الأول: السياق الاجتماعي للخطاب الحجاجي بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان".

كان لتعدد الأحزاب السياسية في زمن الفتنة، دور في ظهور خطب الخلاف بين الإمام علي ومعاوية بن أبي سفيان، فلم تكن الحياة السياسية هادئة، بل كثرت فيها الفتن، والاضطرابات، والنزاعات، و خاصة بعد واقعة صفين التي دارت أحداثها بين علي بن أبي طالب " ومعاوية بن أبي سفيان"، ولما كان النصر حليفًا لعلي"، قام فريق معاوية "فنشروا مصاحفهم ودعوا إلى ما فيها، فعند ذلك حكّموا الحكمين فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، واختار أهل الشأم عمرو بن العاص"، فتفرق أهل صفين حين حكم الحكمان فاشترطا أن يرفعا ما

رفع القرآن ويخفضا ما خفض القرآن وأن يختارا لأمة محمد صلى الله عليه و سلم."(2)، إلا أنّ هذا التحكيم لم يوقف الخلاف، واستمر النزاع والشقاق، فكان كلّ فريق و حزب من الأحزاب السياسية يتخذ الخطابة وسيلة إلى نقد خصومه، وبيان نظريته السياسية، واستمالة الناس إليها(3) ،

ولا يمكن أن نفهم مقاصد الخطاب الحجاجي بين علي ومعاوية" ونحن في غفلة عن فهم السّياق الاجتماعي لهذا الخطاب، فالسّياق مرتبط بكل الظروف الاجتماعية والعناصر النفسية والثقافية واللغوية وغيرها، والظروف المختلفة المحيطة ببيئة الاتّصال، وطرفي الاتصال المرسِل والمتلقي، كلها عناصر أساسية لا يمكن للمحلّل أن يفهم مقاصد المرسِل، والتشكيل اللغوي للخطاب إلا بالاعتماد عليها(4)؛ فالخطاب يُحيل على عناصر السّياق الخارجية في إنتاجه وتشكيله اللغوي، وكذلك في تأويله؛ ممّا يفترض معرفة شروط إنتاجه وظروفه.(5)

وتتشكّل عناصر سياق الخطاب الحجاجي بين علي ومعاوية " من الأحداث التي تلت مقتل عثمان بن عفان "، وتعدّ فتنة مقتل الخليفة عثمان بن عفان " من أخطر الأحداث التي مرّت بها الدولة الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة، وقد تركت من الاختلاف والانقسام في صفوف الأمة ما كاد يودي بها.(6)

أرسل علي بن أبي طالب" إلى معاوية بن أبي سفيان " كتابًا يطلب منه القدوم إليه هو ومن معه في الشام، ليبايعه على الخلافة مثلما فعل المسلمون في البصرة والكوفة ومصر، فرفض معاوية أن يبايع عليا مطالبًا بالقصاص من قتلَةِ عثمان بن عفان "، فجعل أمر البيعة مرهوناً بالثأر من قتلة عثمان.(7)، فكان رفض معاوية بن أبي سفيان" البيعة بحجّة الثأر لعثمان بن عفان" سببًا لنشوء المعركة اللسانية التي دارت رحاها بينه وبين علي".(8)

المبحث الثاني: الخطاب الحجاجي (أسسه وخصائصه وضوابطه)

يعدّ الخطاب الحجاجي نقطة التقاء بين المُرسِل والمتلقي، فهو في جوهره حوار مع المتلقي، غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف، ولما كان الحجاج تقنيات وأساليب تعمل على استمالة المتلقي، وإقناعه في أطروحة معينة، كان لابد للخطاب الحجاجي من أن يخضع لأسس بنائية ثابتة، وخصائص وضوابط محددة.

ويقاس نجاح أي خطاب حجاجي، بقياس نسبة التغير والتبدل بأفكار المتلقي، إلا أنّ هذا النجاح لا يتحقق إلا بتوفر هذه الأسس والخصائص والضوابط، وقد حددت النظريات الحجاجية مجموعة من المراحل -أسسًا بنائية- التي يمر بها المرسل عند إنتاج الخطاب الحجاجي تتمثل في ما يلي:(9)

1. الإيجاد: يقصد به إيجاد الأفكار بصفة عامة، وإيجاد الأدلة بشكل خاص بناء على نمط الخطاب، والإيجاد بهذا المفهوم مرحلة تهتم بتحضير ما يقال.
2. الترتيب: يقصد به ترتيب ما تم تحضيره من أقوال، بحيث تنظم المادة اللغوية(الأفكار والأدلة) التي وجدت بحسب طبيعة الخطاب.
3. العبارة: يقصد به البناء اللغوي الذي يحتوي على المادة المتحصل عليها من أفكار وحجج.
4. الذاكرة: يقصد بها الرجوع للذاكرة.
5. الإلقاء: يقصد به الإنشاد والحركات.(مسرحة الكلام).

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ كلّ من "الإلقاء" و"الذاكرة"، متعلقان بالخطاب الشفوي فقط، وهما أساسان متلازمان.

كما أورد بعض الباحثين عددًا من الخصائص؛ لتحقيق هذا الهدف، والتي تميز الخطاب الحجاجي عمّا سواه من الخطابات الأخرى وهي:

1- القصد المعلن: تعني البحث عن إحداث أثر في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة، وبعبارة أخرى، هي عملية إيجاد الأفكار والأدلة التي تسهم في إحداث التأثير والإقناع، وهو

ما يعبر عنه اللسانيون بالوظيفة الإيحائية، ويشير طه عبد الرحمن إلى أن إحداث هذا الأثر لا يكتسب بالإكراه، بل يتحصل بسبل استدلالية متنوعة.(10)

2- **التناغم**: إن إقناع المتلقي بأطروحة معينة يقوم على تسلسل محدد وفق تأثيرات يحدثها الخطاب الحجاجي سواء أتعلق الأمر بالانفعال أو الفتنة أو إحداث مجرد تقدم، وتعكس هذه الخاصية ما يتمتع به المخاطب من ذكاء ومعرفة دقيقة للمتلقي وفكره ونفسيته، فنراه يعمل على تكييف الأفكار بناء على المقام وأحوال المتلقي، فيختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى، ويسأل ويجيب، بل يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة، فيتجلى في الخطاب سحر البيان.(11)، وتسهم هذه الخاصية في إكساب الخطاب الحجاجي صفة الإقناعية من خلال تقديم الأفكار التي يحملها برؤية واضحة دون وقوع المتلقي في صعوبة الفهم ومخاطر التأويل، بالإضافة إلى أنّ المتلقي يجد بفضل هذا التناغم أفكار المخاطِب مطابقة للواقع، مما يؤدي إلى تحقيق الأهداف المقصودة للخطاب، وقد أورد بعض الباحثين ثلاثة مقومات اصطلح عليها "بمقومات التناغم" وهي:

- القبول: فينبغي للمخاطب أن يبني خطابه الحجاجي مراعيا انخراط المتلقي في الكلام الذي يؤسسه؛ لكي يجد المتلقي في الكلام شكلا معقولاً ومقبولاً.
- مشابهة الحقيقة: فالخطاب الحجاجي الذي يبنيه المخاطِب يجب أن يكون متصورًا، حيث تكون عناصره قابلة للتحديد، وعلاقاته ممكنة ومحتملة تطابق تصورات المتلقي.
- الإقرار: الغاية التي يهدف الخطاب إلى تحقيقها، والقيم التي يعتمدها يمكن للمتلقي تحديدها، ثم إقرارها بعد ذلك والاقتداء بها.(12)

3- **الاستدلال**: حيث يقوم الخطاب الحجاجي على نظام تترابط فيه العناصر اللغوية بشكل عقلي وفق أساس تفاعلي، فالمخاطب يبني خطابه الحجاجي موظّفًا الأدوات اللغوية وفق ما تقتضيه الدلالة والمقام لاستمالة المتلقين، فالحجاج في النهاية مجموعة من الاستدلالات تهدف للإقناع.(13)

4- البرهنة: يسعى المخاطِب من خلال البرهنة إلى توظيف الحجج وترتيبها بحيث تكون المادة اللغوية مكونة من أفكار وأدلة؛ لحمل المتلقي على الإذعان، و"إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولا إلى ألطف فكرة وأنفذها."(14)

ولما كان الخطاب الحجاجي متميزًا عن غيره من الخطابات، فهو خطاب يحرص على الإقناع، إقناع المتلقي بوجهة نظر أو أطروحة يدعو لها المُخاطِب، بل يسعى إلى حمل المتلقي إلى الإذعان والاستسلام لهذه الأطروحة، وجب توفر عدد من الضوابط إضافة إلى الخصائص السابقة الذكر يفترض بالمُخاطِب أن يلتزم بها، أمّا أهم هذه الضوابط فقد أورد عبد الهادي الشهري عددًا منها وهي:(15)

1. أن يكون الخطاب الحجاجي ضمن إطار الثوابت مثل: الثوابت الدينية، والثوابت العرفية، فليس كل شيء قابلا للنقاش أو الحجاج.
2. أن تكون دلالة ألفاظ الخطاب الحجاجي، والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محددين، والمقصود بهذا الكلام هو الوضوح الدلالي، فالخطاب الحجاجي يكون بعيدا عن الحالات الاستدلالية التي تحمل أبعادا دلالية متعددة، الأمر الذي يفتح الباب على مصراعيه أمام فضاءات التأويل أو الفهم الخاطئ.
3. ألاّ يقع المرسِل في التناقض في قوله أو فعله و أن يكون الحجاج موافقًا للعقل، وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة، كمن يدعي أنه من المدافعين عن حقوق الحيوان، وفي الوقت نفسه يرتدي معطفًا من أجود أنواع الجلود أو الصوف الحيواني.
4. مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام؛ لأنّه السبيل الكفيل بتسويغ الحجج الواردة في الخطاب، وفي حال غياب هذا الضابط يعود الخطاب الحجاجي خطابًا جدليًا يهتم فيه المخاطب بنفسه دون مراعاة لحال المتلقي.
5. امتلاك المخاطب لثقافة واسعة، خصوصًا في ما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجاج، مثل المجال الديني أو السياسي؛ لأنّه بدون الرصيد المعرفي لن يستطيع المخاطِب إيجاد دعوى، وتعوزه المعرفة الكافية لبناء خطابه واختيار حججه.

ويعرّف محمد العبد الخطاب الحجاجي بأنّه: "جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسة من الأقوال المترابطة ترابطًا منطقيًا قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية."(16)

وبناءً على ما سبق وانطلاقًا من هذه الأسس والخصائص والضوابط، تجد الدراسة أنّ الخطاب الحجاجي يختلف عن غيره من الخطابات، انطلاقًا من هدفه الأساس وهو الإقناع، ويجب على المخاطِب (المحاجج) حتّى يبني خطابًا حجاجيًا ناجعًا، مراعاة هذه الخصائص والضوابط في خطابه الحجاجي، لكي يتمكن من استمالة المتلقي، وإقناعه بوجهة نظره، حتّى يحقق الخطاب غايته ومقبوليته.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة مراعاة ثلاثة عناصر عند دراسة الخطاب الحجاجي وهي: المخاطِب، والمتلقي، والمقام، فالخطاب الحجاجي فعل المخاطِب وإنجازه، يحاول من خلاله إقناع الآخر بفكرة معينة، وفق طريقة تبين مواقفه وأفكاره، مع الإشارة إلى التفاوت بين المخاطبين نظرًا لثقافتهم، ومعرفتهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، كما يحتل المتلقي مكانة كبيرة في الخطاب الحجاجي فهو المستهدف بالدرجة الأولى، كما أنّ نجاعة الخطاب الحجاجي ترتبط –كما أشرنا سابقًا - بقياس نسبة التغير والتبدل بأفكار المتلقي، ولكي يحقق الخطاب هدفه يجب أن يراعي أحوال المتلقي ومستواه الفكري والإدراكي، أمّا العنصر الثالث وهو المقام فلا يقل أهمية عن العنصرين السابقين، فهو الإطار العام لعناصر العملية الحجاجية، والأساس الذي تنطلق منه.

المبحث الثالث: السلالم الحجاجية:

ارتبطت السلالم الحجاجية بالكيفية التي تتدرّج بها حجج العملية الحجاجية، من حيث كونها فعالية بين حجة ونتيجة، "فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمّنه القول من قوة حجاجية تمثّل مكونًا أساسيًا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم، في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما."(17)

ويعود الفضل في هذا الكشف لطبيعة العلاقة بين قول الحجة ونتيجتها إلى العالم الفرنسي ديكرو(Ducrot)، حيث قدّم تصورًا عاما حول ما أصبح يعرف بالسُلّم الحجاجي، الذي يوضح ويبين الدور الكبير للعلاقات السُلّمية داخل الخطاب الحجاجي.

أمّا في ما يختص بتعريف السُلّم الحجاجي، فيمكن تعريفه بأنّه:" عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية."(18).

وعليه فإنّ السلالم الحجاجية تقوم بالأساس على مبدأ تدرج الحجج من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية، بهدف الوصول إلى النتيجة التي ينشدها المتكلم، ولعلَّ هذا يفسر تسميتها بـ(سُلّم)

فهذا التفاوت بين الحجج بالقوة والضعف شكّل سلّما يتدرّج من أضعف حجة حتّى أقواها وصولاً للنتيجة، ولعلَّ الشكل التالي يوضح ذلك:

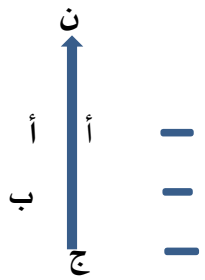

حيث إن (أ) و(ب) و(ج) حجج متدرجة في القوة تخدم النتيجة (ن).

و لابدَّ من توافر شرطين في العلاقة بين الأقوال(الحجج) وهما:

- "كلّ قول يقع في السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه."
- كلّ قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه." (19)

ولعلَّ المثال التالي يوضح المقصود مما سبق:

(ن) {زيد أنبل الناس.}

أ------- (زيد ساعد عدوه)

ب ---- (زيد ساعد صديقه)

ج ------ (زيد ساعد أخاه)

حيثُ إنّ الحجة(ج) و(ب) و(أ) تخدم النتيجة (ن)، والقول (أ) يلزم عنه القول (ب) ويلزم بدوره (ج)، كما أن (أ) أقوى إثباتًا للمدلول(النتيجة) (ن) من(ب) والذي هو بدوره أقوى إثباتًا من (ج).

تكمن أهمية السلالم الحجاجية في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز المحتوى الخبري للملفوظ، ذلك أنّه إذا كان للقول الحجاجي وجهة حجاجية، تحدد قيمته باعتباره يدعم ويساند نتيجة معينة، فإنّ السلم الحجاجي في تركزه على الطابع المتدرج والموجه للأقوال، يبين أنّ الخطاب الحجاجي ليس مطلقًا؛ إذ لا يتحدد بالمحتوى الإخباري للملفوظ، ومدى مطابقته لحالة الأشياء في الكون، إنّما هو رهين هذه الحجة أو تلك بالنسبة للنتيجة التي يسعى إلى تحقيقها، ومن هنا فالحكم على الخطاب الحجاجي أساسه القوة والضعف، اعتبارا لطابع التدرج في طرح الحجج، ولا يحكم عليه بالصدق والكذب."(20)

ولما كانت السلالم الحجاجية تقوم على مبدأ تدرج الحجج للوصول إلى النتيجة، كان لابدّ من وجود قوانين محددة تسير وفقها هذه العملية، وإلا لكانت ضربا من التخبط والاعتباطية، ولهذا حدّد ديكرو (Ducrot) ثلاثة قوانين عدها بمثابة قواعد تدعم هذه السلالم وتحدد طبيعة العلاقات التي تسود الحجج التي تمثلها، وهذه القوانين هي:

1- **قانون النفي:** ويعني هذا القانون أن المتكلم إذا استعمل الحجة(أ) لخدمة النتيجة (ن)، فإن (- أ) يخدم النتيجة المضادة (- ن)، ويوضح المثال التالي المقصود:(21)

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.
- زيد ليس مجتهدًا، إنه لم ينجح في الامتحان.

2- **قانون القلب:** ويعدّ هذا القانون متمما للقانون السابق، ويراد به "إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة، ويوضح المثال التالي ذلك:"(22)

- حصل زيد على الماجستير، وحتّى على الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين إن عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على الدكتوراه.

3- **قانون الخفض:** "ويقتضي هذا القانون أنّه إذا صدق القول مراتب معينة من السلم، فإنّ نقيضه يصدق المراتب التي تقع تحتها، وأنّ التراتب بين الحجج يمكن أن يعدل أو يتغير من زيادة أو نقصان من لحظة إلى أخرى، بحسب تدخل عوامل معينة وبحسب المدلول وقوته، إذ يمكن أن يتغير الموقف من حجة معينة تعد صادقة بعد أن كانت كاذبة، والعكس صحيح."(23)

إنّ المتأمل لخطب الخلاف يجد أن الإمام علي بن أبي طالب" قد وظّف السلالم الحجاجية في خطبه، فالحجج التي جاء بها ليدعم النتيجة التي يسعى للوصول إليها – إيصال المتلقين- في كل مرة، لم ترد في تراتبية واحدة، ولا امتلكت الدرجة الإقناعية ذاتها، فهي تتدرج من الحجة الضعيفة وصولا إلى الحجة الأقوى، وهو أمر أسهم في منح الخطاب الحجاجي عند الإمام علي بن أبي طالب" درجة عالية من التأثير في متلقي الخطاب، فضلاً عن إسهامه في تسلسل الخطاب الحجاجي وجعله أكثر تناسقًا وانسجامًا.

وستعرض الدراسة نماذج من السلالم الحجاجية الواردة في خطب الخلاف عند الإمام علي بن أبي طالب"، وفي المقابل ستعرض الدراسة السلالم الحجاجية التي تنظم الحجج المقدمة من قبل معاوية بن أبي سفيان".

جاء في خطبة الإمام علي بن أبي طالب" والتي قالها بعد إغارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار وقتل عامل الإمام علي" عليها، قوله:" فتخاذلتم وتواكلتم، وثقل عليكم أمري واتخذتموه وراءكم ظهريا، حتّى شنّت علكم الغارات وملكت عليكم الأوطان."، ففي هذه العبارة يقدم الإمام علي حججًا متعددة ليوصل أتباعه إلى نتيجة واحدة محددة مفادها الذل والهوان الذي هم فيه، والناظر في هذه الحجج يلحظ أنّها لم ترد كلها في درجة واحدة من القوة والضعف، فالإمام علي" يبدأ كلامه بالحجة الضعيفة ويتابع بنمط تصاعدي وصولاً للحجة الأقوى موجها المتلقي نحو النتيجة المقصودة، ويوضح الشكل التالي السلم الحجاجي لهذه الحجج:

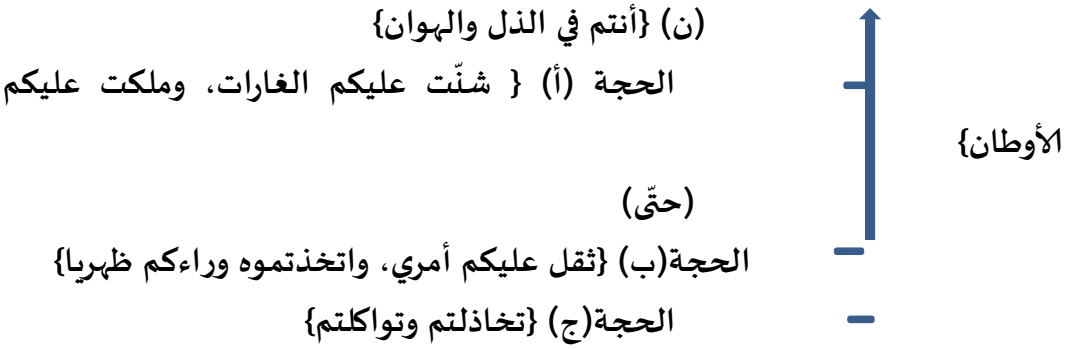

تلحظ الدراسة الدور الذي قام به الرابط الحجاجي(حتّى) في إكساب الحجة (أ) درجة عليا في السلم الحجاجي، "إنّ الحجة التي تأتي بعد هذا الرابط أقوى حجة ويمكن أن نتخيلها ونتصورها، وهي آخر حجة يمكن أن تعرضها لصالح النتيجة المقصودة."(24)، فالحجة (أ) تعد أقوى الحجج في السلم، تليها الحجة (ب)، في حين كانت الحجة (ج) في أسفل السلم الحجاجي لكونها أضعف الحجج، وكان سبب ضعفها الترتيب الزمني للحجج.

وجاء في الخطبة نفسها قوله: " جرعتموني نغب الموت أنفاسًا، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتّى لقد قالت قريش إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له في الحرب!."، فالإمام علي بن أبي طالب" يقدّم مجموعة من الحجج بهدف الوصول إلى نتيجة معينة، تتمثل في الإساءة إلى الإمام علي " من قبل قريش بوصفهم إياه بأنّه رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب وفنونها، وتوضح الدراسة تَدرُّج الحجج في هذه الخطبة من خلال السلم الحجاجي التالي:

(ن) {خسارة علي الحرب}

الحجة (أ) {قالت قريش علي شجاع، لكن لا رأي له بالحرب}

(حتّى)

الحجة (ب) {أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان}

الحجة (ج) { جرعتموني نغب الموت أنفاسا}

والأمر ذاته في تفسير هذا السلم الحجاجي، بالإضافة إلى أنّ الإمام علي بن أبي طالب" قد جاء بهذه الحجج لكي يوصل متلقي الخطاب إلى النتيجة المقصودة، مؤكدا أن هذه النتيجة كانوا هم العامل الرئيس في تشكلها؛ بتقاعسهم عن القتال.

وكذلك قوله بعد فشل التحكيم:" نخلت لكم من مخزون رأيي، فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه."، ويمثل هذه الحجج السلم الحجاجي التالي:

(ن) {ضياع فرصة النصر}

الحجة (أ){ ارتاب الناصح بنصحه}

(حتّى)

الحجة(ب) {فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة}

(الفاء)

الحجة(ج){ نخلت لكم من مخزون رأيي}

ولم تخلُ خطب الخلاف عند الإمام علي بن أبي طالب من سلالمَ حجاجية مبنية على روابط التعارض الحجاجي(25)، فالعبارة التالية المقتبسة من خطبة الإمام علي "، توضح دور أحد هذه الروابط الحجاجية، في تحديد الحجة الأقوى، والمتمثل في الربط الحجاجي (لكن)، يقول الإمام علي ": "فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، ولقد نيفت اليوم على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع"، ويمثل السلم الحجاجي التالي تراتبية هذه الحجج مع بيان التعارض الناتج عن توظيف الرابط الحجاجي (لكن):

(ن) {خسارة علي الحرب}
الحجة(أ) { رأي لمن لا يطاع}
(لكن)
الحجة(ب){ لقد نيفت اليوم على الستين}
الحجة (ج) { لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين}

قدم الإمام علي" في عبارته السابقة ثلاث حجج، والمدقق في هذه الحجج يلحظ أن الحجتين(ج) و(ب) تنتميان إلى قسم حجاجي واحد يخدم نتيجة محددة، تتمثل في أنّ الإمام علي بن أبي طالب " قائد حربي بامتياز؛ وذلك لأنه شارك في الحرب وهو في مقتبل العمر فهو لم يتجاوز العشرين من عمره، واليوم- زمن قول الخطبة- هو في الستين من عمره، وهو ما يؤكد ويدل على خبرته الكبيرة في الحرب؛ لتمرسه في القتال لمدة أربعين عاما تقريبا، ولكن لما دخل الرابط الحجاجي (لكن)على الحجة الثالثة (أ)، شكّل هذا الرابط الذي ينتمي لقائمة روابط التعارض الحجاجي، حجة أقوى جاءت بعده لتخدم بذلك نتيجة مضمرة تتعارض مع الحجتين (ب) و (ج) ومضادة لهما، وقد تقدمت (ب) على (ج) بفعل التراتب الزمني، تتمثل في خسارة علي"الحرب، ويرى الباحث أن توظيف الإمام

علي " لهذا الرابط الحجاجي شكّل حركة في خطاب وتواصلا مع المتلقي؛ لأن العبارة السابقة دلّت على أن الإمام علي " يملك مهارة عسكرية كبيرة كانت قادرة على تحقيق النصر؛ فلو أنّ أتباعه أطاعوا أوامره وتوجيهاته، لكان النصر حليفا لهم، ولكنّهم خالفوا أوامره وتوجيهاته مما فوت عليهم نيل النصر.

كان للعوامل الحجاجية دور جلي في بناء الحجج وترتيبها، بوصفها وسيلة من وسائل بناء السلم الحجاجي، ورسم الطريق أمام تراتبية الحجج وتسلسلها، ومن نماذج ذلك قول الإمام علي":" ألا وإني قد دعوتكم لقتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم؛ فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا."، ففي هذه العبارة مجموعة من الحجج المتدرجة، تهدف إلى توجيه المتلقي نحو نتيجة واحدة مفادها، التحريض على القتال، فالإمام علي"، يدعو في هذه الخطبة إلى الجهاد، ومقاتلة الأعداء، محذرا من مغبة التواني والتباطؤ، ومصرحا بنتيجة ذلك، بعد أن قدم مجموعة من الحجج التي يمكننا توضيحها من خلال السلم الحجاجي التالي:

(ن) {قاتلوا دون تأخر أو تردد}

الحجة(أ) {ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا}

(ما+ إلا)

الحجة(ب) {قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم}

الحجة (ج){ ألا وأني قد دعوتكم لقتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا.

يلحظ الباحث الدور الذي لعبهُ العامل الحجاجي (ما+ إلا) في رسم الحجج وترتيبها، حيثُ اكتسبت الحجة (أ) قوة حجاجية عالية مكّنتها من الوصول إلى قمة السلم الحجاجي، فالإمام علي" يدرك خطورة التأخر في القتال والتواني عنه، فيقدم جملة من الحجج المتباينة في القوة التأثيرية، في محاولة منه لدفع المخاطبين للجهاد والقتال، دون

أي تأخير، وهذا التحرك للمتلقي يأتي بعد أن يصل إلى قناعة تامة بخطورة التأخير، بفعل ما قدمه الإمام علي" من حجج، فهو يؤكد للمتلقين دعواته المتكررة ليلاً ونهارًا سرًّا وإعلانًا، بضرورة القتال، ويشترط في هذا القتال أن تكون المبادرة فيه من قبلكم، وهو ما تبينه الحجة (أ+ ب)، ثم يلجأ الإمام علي" إلى أسلوب الحصر المتمثل في (ما+ إلا) مانحا الحجة (أ) قوة تأثيرية عالية، موجهة المتلقي إلى خطورة التأخير عن القتال فأي قوم يغزون في عقر ديارهم، مصيرهم الذل والهوان.

ويظهر جليًا للناظر في خطب الخلاف أنّ الإمام عليا" يشير إلى تخاذل أتباعه، وتقاعدهم عن نصرته، فلا تكاد خطبة من خطبه تخلو من ذلك، وهو يقدم لنا في كلّ مرة مجموعة من الحجج تؤكد هذا التخاذل والتهاون في نصرته، ومن نماذج ذلك قوله: "استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، وأسمعتكم فلم تعوا؛ فأنتم شهود كأغياب".. فالإمام علي " يقدم لنا مجموعة من الحجج المؤكدة على عدم إطاعة أتباعه له، فهو يقدم لنا مجموعة من الأفعال التي صدرت عنه اتجاه أتباعه، دون فائدة ترجى، فهو دعاهم للنفير إلا أنّهم لم ينفروا، وقدم لهم النصح فلم يقبلوا نصحه، وأسمعهم كلامًا يحثهم ويشحذ هممهم إلا أنّهم لم يفهموا مغزاهُ، فهم كالغائبين الذين لم تصلهم هذه الأفعال، ويمثل السلم الحجاجي التالي تراتبية هذه الحجج:

(ن) {أنتم سبب الهزيمة}

الحجة (أ) {أنتم شهود كأغياب}

الحجة(ب) {نصحت لكم فلم تقبلوا}

الحجة(ج) {استنفرتكم فلم تنفروا}

فهذه الحجج التي قدمها الإمام علي" المتمثلة في أفعال متدرجة، توجه بها الإمام علي نحو أتباعه، وانطلاقا مما ترتبت عليه رد فعل عندهم، وصل الإمام علي" إلى إثبات

حقيقتهم، بكونهم شهود كأغياب، وهذه العبارة "شهود كأغياب" موكِّد للحجج السابقة ومجمل لها.

وكذلك الأمر في خطبة الجهاد قال الإمام علي ": "إذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء، قلتم هذا أوان قر، وإن قلت لكم اغزوهم في الصيف، قلتم حمارة القيظ، أنظرنا ينصرم الحر عنا، فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون؛ فأنتم والله من السيف أفر."، ويمثل السلم الحجاجي هذه الحجج وتدرجها:

(ن) {خسارة علي للحرب}

الحجة (أ) { فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم من السيف أفر}

الحجة (ب) {إن قلت لكم اغزوهم في الصيف، قلتم حمارة القيظ، أنظرنا ينصرم الحر عنا}

الحجة (ج) {إذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء، قلتم هذا أوان قر}

فالحجج (ج)، (ب)، (أ) تتدرج نحو وجهة واحدة وهي (ن)، فالإمام علي " يبين مدى تقاعس أتباعه، حتّى يصل في النهاية إلى سبب الهزيمة، وهي أنهم جبناء يخشون القتال، ويختلقون الأعذار لتجنبه.

كما يتابع الإمام علي بن أبي طالب " في خطابه الحجاجي الموجه إلى أتباعه بيان تقاعسهم وقعودهم عن الحرب، فيقدم في الخطبة ذاتها مجموعة من الحجج تنتظم في سلم حجاجي تقود إلى نتيجة واحدة معينة، إذ يقول:" تُرمون ولا تَرمون، ويُغار عليكم ولا تغيرون، ويُعصى الله فيكم وترضون."، فالإمام علي " يقدم وصفا لأتباعه قائما على الضدية، صفات الجرأة والإقدام في مقابل صفات الخضوع والخنوع(26)، حيث أراد من خلال إثارة حميتهم وتحريضهم على القتال من خلال هذه الحجج التي أتى بها، والتيمن شأنها جعل المتلقي يذعن للنتيجة ويستسلم لها، ويمثل السلم الحجاجي هذه تراتبية هذه الحجج، والنتيجة من وراء توظيفها:

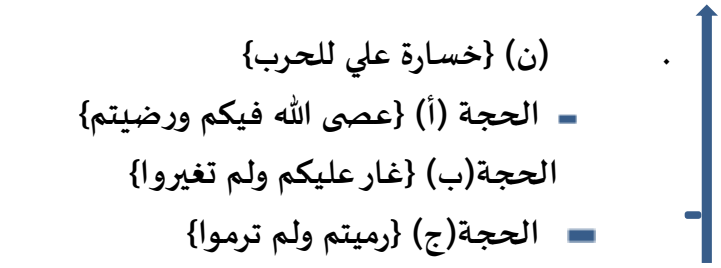

أمّا بالنسبة للسلالم الحجاجية عند معاوية بن أبي سفيان فلم تخرج عمّا جاء عند الإمام علي بن أبي طالب"، وإن كان ترابط الحجج وتناسقها متفاوتا بينهما، الأمر الذي ينعكس إيجابا على القوة التأثيرية للخطاب الحجاجي بوجه عام، فالحجج التي اعتمد عليها الإمام علي" في توجيه المتلقي نحو أطروحته، تتسم بالتواصل؛ إذ تقوي كل حجة منها الأخرى، مما اكسب السلم الحجاجي عنده قوة وفاعلية، فهو ينتقل من حجج أقل تأثيرًا في مردودها الإقناعي، إلى حجج أكثر عمقًا وتأثيرًا؛ بهدف التسليم بالنتائج المترتبة عنها.

وفي ما يلي تقف الدراسة على الحجج الواردة في خطب معاوية بن أبي سفيان "، مبينة السلم الحجاجي لها، ودرجة توجهها نحو النتيجة التي تخدمها.

جاء في خطبة لمعاوية بن أبي سفيان " يحرض فيها أتباعه على القتال، قوله: "إنّكم لعلى حق، وبأيديكم حجة، وإنّما تقاتلون من نكث البيعة، وسفك الدم الحرام."، ويبيّن السلم الحجاجي التالي تراتبية هذه الحجج وصولاً للنتيجة التي أراد معاوية " إيصالها للمتلقين.

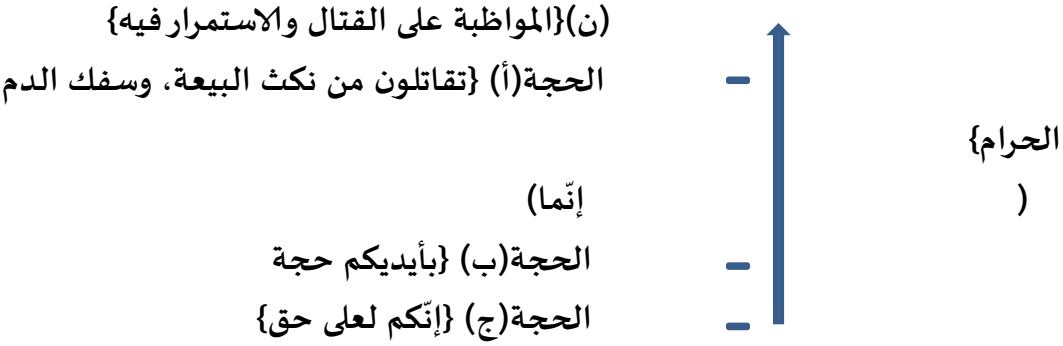

يقدّم معاوية بن أبي سفيان " مجموعة من الحجج المتدرجة نحو نتيجة محددة، فهو يرى أنّه وأتباعه أصحاب حق، فهو ولي عثمان بن عفان"، وصاحب الحق في أخذ ثأره ممن قتلوه، ومن ثم ينتقل صعودا نحو الحجة (ب) مبررًا هذه الحرب، ومؤكدًا أحقيتها، متمثلاً في القصاص من المعتدي، وهو حجة لا تقبل الرد، ولا يكتفي بهذا الكم بل يلجأ إلى عامل حجاجي وهو أسلوب الحصر المتمثل بـ(إنّما) الذي أكسب الحجة التالية له قوة تأثيرية عالية، جاعلا منها حجة تتصدر السلم الحجاجي، وهي حجة تتضمن سابقاتها، فكل من ينكث بيعته، يقيم على نفسه الحجة، ويفقد الحق في الدفاع عن نفسه.

وفي خطبة أخرى قالها بعد خسارة علي بن أبي طالب"التحكيم، قال فيها:" فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا مما أحبوا، وحاكمناهم إلى الله فحكم لنا عليهم، ثم جمع لنا كلمتنا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين يشدّ بعضهم على بعض بالكفر."، ففي هذه الخطبة يقدم معاوية ابن أبي سفيان" جملة من الحجج التي تدعم نتيجة واحدة مفادها نجاحنا في التحكيم بفضل توفيق الله لنا، وهو يتسلسل من الحجة الأضعف نحو الحجة الأقوى، كما يتضح لنا دور الرابط الحجاجي (ثم) الذي أكسب الحجة (أ) قوة وفاعلية تأثيرية، تتمثل في جمع الله كلمة الناس على معاوية، وأصلح حال الأمة، ويمثل السلم الحجاجي التالي هذه الحجج:

(ن){ قضيتنا صائبة ووقوفنا إلى جانبها حقٌّ}

}جمع لنا كلمتنا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين{الحجة(أ)

(ثم)

} حاكمناهم إلى الله فحكم لنا عليهم{الحجة(ب)

} فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا مما أحبوا{الحجة(ج)

ولما توجه علي بن أبي طالب " إلى الشام لمقاتلة معاوية " وجنده، قام معاوية خطيبًا يدعو أهل الشام لقتال علي، وفي هذه الخطبة يقدم معاوية بن أبي سفيان" مجموعة حجج يبين فيها، الأسباب الموجبة لقتال علي بن أبي طالب " وأتباعه، متسلسلا بها من الأضعف إلى الأقوى، فقال:" هو أمر بقتله، وألب الناس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصدا بلادكم لإبادتكم،... وقد جعل الله لولي المقتول ظلما سلطانا، فانصروا خليفتكم المظلوم، فقد صنع القوم ما تعلمون قتلوه ظلما وبغيا، وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتّى تفيء إلى أمر الله."، ويوضح السلم الحجاجي التالي الحجج التي أوردها معاوية بن أبي سفيان":

(ن) { قتال علي وأتباعه طاعة لله تعالى}

الحجة (أ) {أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتّى تفيء إلى أمر الله}

الحجة (ب) {وقد جعل الله لولي المقتول ظلما سلطانا، فانصروا خليفتكم المظلوم}

الحجة (ج) {وقد خرج بهم قاصدا بلادكم لإبادتكم}

الحجة (د) {هو أمر بقتله، وألب الناس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه}

ففي هذا السلم الحجاجي نرى تدرج الحجج من الحجة الأضعف وصولا إلى النتيجة (ن)، فمعاوية بن أبي سفيان" يذكر أهل الشام بأنّ عليا بن أبي طالب" هو قاتل عثمان بن عفان" والمحرض عليه، وهو من آوى القتلة وضمهم في جيشه، ثم يعمل على زيادة التأثير في المتلقين- أهل الشام- مبينا لهم في الحجة (ج) أنه يسير بجنده نحوهم للقضاء عليهم، وفي هذه الحجة دفع لهم للقتال لأن عليا بن أبي طالب " يمثل خطرا عليهم، وفي الحجة (ب) يحاول معاوية " أن يدب الحماس في أتباعه، مبينا لهم أن الله جعل لولي من يقتل مظلومًا سلطانًا، في إشارة إلى الدعم الإلهي لهم، وفي نفس الإطار يذكرهم بأمر الله تعالى الذي جعل منه رأسا لسلمه الحجاجي، فقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتّى ترجع إلى أوامر الله، انطلاقا من قوله تعالى:" وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حتّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ "[الحجرات:9]

ومن نماذج السلالم الحجاجية في خطب معاوية بن أبي سفيان"، ما جاء في خطبة له يحرض أهل الشام على قتال علي بن أبي طالب " وأتباعه، إذ يقول:" إما أنْ تكونوا طلبتُم ما عندَ اللهِ في قتالِ قومٍ بغوا عليكم، فأقبلوا من بلادهم حتّى نزلوا في بيضتِكم، إمّا أن تكونوا قومًا تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيكم، وإما أن تكونوا قومًا تذبون عن نسائِكم وأبنائكِم."، فمعاوية بن أبي سفيان" يقدم عددا من الحجج متوجها بها نحو نتيجة معينة، قاصدا منها تثبيت أتباعه ومريديه على قرار الحرب، فلا تحدث أحدا منهم نفسُه بالتراجع، فهو يتسلسل بالحجج فلا يدع لأحدهم عذرا، في تخليه عن هذه المعركة، ويبين السلم الحجاجي التالي هذه الحجج والنتيجة الكامنة وراءها:

(ن) {وجوب قتال علي وأتباعه لتعدد أسباب ذك}.

الحجة(أ) {أن تكونوا قوما تذبون عن نسائكم وأبنائكم}

الحجة(ب) {أن تكونوا قوما تطلبون بدم خليفتكم وصهر نبيكم}

الحجة(ج) { أن تكونوا طلبتم ما عند الله في قتال قوم بغوا عليكم}

نلحظ التسلسل في قوة هذه الحجج حيث تمثل الحجة (أ) أقوى الحجج فكانت في أعلى السلم الحجاجي، في حيث كانت الحجة (ج) أسفل السلم الحجاجي كونها أضعف الحجج، فجلب أجر الجهاد بقتال قوم متهمون بالظلم، هو سبب موجب لقتالهم، إلا أنّ الإنسان قد تحدثه نفسه بعدم المشاركة، معللا ذلك بوجود غيره، إلا أنّ معاوية بن أبي سفيان لا يقف عند هذا الحد، بل يوظّف حجة أعلى تأثيرا وتتمثل في الحجة (ب) فطلب الثأر أمر يوجب قتال القتلة، فضلا عن أنّ معاوية عَمِلَ على زيادة قوة هذه الحجة ورفع مستوى التأثير في المتلقي بقوله:" صهر نبيكم"، فهو ليس مجرد خليفة لكم وولي الأمر، بل هو صهر رسول الله (ρ)، ويصل معاوية بن أبي سفيان " إلى الحجة الأقوى والأكثر تأثيرا في المتلقي وهي الحجة (أ) فمن المنطقي أن لا يتردد أحد أبدا بل من المستحيل أن تسوّل له نفسه التراجع ولو لبرهةٍ عندما يتعلق الأمر بالنساء (الشرف) والأبناء، فالإنسان الطبيعي يضحي بنفسه فداء لشرفه وحفاظا على حياة أبنائه، وهو الأمر الذي اعتمد عليه معاوية " جاعلا من هذه الحجة رأس سلمه الحجاجي.

هذه نماذج للسلالم الحجاجية الواردة في خطب الخلاف عند الإمام علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان "، والذي حاول كلّ واحد منها أن يقدم حججًا يثبت من خلالها النتائج المرتبطة بها، ويتضح للدراسة بعد هذا العرض أنّ لتراتبية الحجج وتسلسلها دورًا بارزًا في إكساب الخطاب الحجاجي قواه التأثيرية، فترابط الحجج، ودقة بنائها، يجعلان المتلقي يذعن ويسلم للنتائج التي توجه إليها، وهو غاية الحجاج ومقصديته، فالحجاج في معناه العام" مجموعة من الخطط الخطابية المستعملة من قبل المخاطب لإقناع جمهوره ومتقبله."(27)، ومن هنا تظهر أهمية السلم الحجاجي، ودوره الكبير في الدرس الحجاجي بشكل عام؛ فالحجاج يتحقق بالسُلّم الحجاجي(28)، من خلال إقناع المتلقي بالنتيجة التي توجه لها الحجج المتدرجة به.

وتلحظ الدراسة أنّ الإمام علي بن أبي طالب " طالما عمل على الاحتجاج لدعوى محددة تظهر جليا في السلالم الحجاجية السابقة، والتي تتمثل في أن من يعدون أتباعه وأصحابه

هم سبب الهزيمة وتضييع فرصة النصر، وإن لم يصرح بها بشكل مباشر، إلا أنها مفهومة من كثرة حديثه عن أسبابها، أما معاوية بن أبي سفيان" فقد كانت حججه تنصب نحو دعوتين واضحتين تتمثل أولاهما في مسؤولية علي وأتباعه عن قتل عثمان بن عفان"، والثانية أحقية معاوية في الخلافة.

الخاتمة:

كان للسلالم الحجاجية الواردة في الخطاب الحجاجي عند الإمام علي بن أبي طالب "، ومعاوية بن أبي سفيان " دور بارز في إكساب الخطاب الحجاجي قواه التأثيرية، فترابط الحجج، ودقة بنائها، يجعل المتلقي يذعن ويسلم للنتائج التي توجه إليها، وهو غاية الحجاج ومقصديته، فالحجاج في معناه العام" مجموعة من الخطط الخطابية المستعملة من قبل المخاطب لإقناع جمهوره ومتقبله، ومن هنا تظهر أهمية للسلم الحجاجي، ودوره الكبير في الدرس الحجاجي بشكل عام؛ فالحجاج يتحقق بالسلم الحجاجي، من خلال إقناع المتلقي بالنتيجة التي توجه لها الحجج المتدرجة به.

وأفضى هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها بما يلي :

1- تقوم السلالم الحجاجية على مبدأ التدرج بالحجج، ومن هنا فهي "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تراتبية"، للوصول إلى نتائج مقصودة.

2- تعمل السلالم الحجاجية ضمن قوانين محددة وهي: قانون النفي، وقانون القلب، وقانون الخفض.

3- كان للسلالم الحجاجية دور بارز في إكساب الخطاب الحجاجي قواه التأثيرية، فترابط الحجج ودقة بنائها تجعل المتلقي يذعن ويسلم للنتائج التي توجه إليها.

4- وظّف الخطيبان عددا من العوامل الحجاجية التي أسهمت بشكل كبير في تراتبية الحجج داخل السّلّم الحجاجي، كالفاء، وحتّى وغيرهما.

5- تتفاوت الحجج المقدمة من الخطيبين بين القوة والضعف، اعتمادا على طبيعة الموقف الذي قيلت فيه.

كما توصي الدراسة بتطبيق آلية السلالم الحجاجية على المزيد من نصوص التراث وفي ذلك إحياء لتراثنا العربي وربطه بالدراسات اللسانية الحديثة.

المصادر والمراجع:

- برهومه، عيسى، المبيضين، ماهر، الخطاب السجالي في رسائل علي ومعاوية، مجلة دراسات، المجلد 43، ملحق4، جامعة مؤتة، الأردن.

- بليث، هنريش، البلاغة والأسلوبية- نحو نموذج سيميائي لتحليل الخطاب-، ترجمة، محمد العمري، (د.ط)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان 1999م.

- حلاسة، هناء، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2016م.

- الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م

- ديكرو، أوزوالد، سشايفر، جان، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،2007م.

-رشيد، الراضي ، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 34، العدد1، 2005م.

- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م.

- صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ط1، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، 2015م.

- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة، 1983م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت،1387هـ

- عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط2،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،2006م.
- العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ط1، منتديات سور الأزبكية، الدار البيضاء، 2006م.
- علوي، حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته – دراسات نظرية وتطبيقية، في البلاغة الجديدة، ط1، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن،2010م.
- العمري، أكرم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة - محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1428هـ.
- عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.
- شكري، مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود،(د. ط)، منشورات كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية منوبة، تونس،(د. ت).
-صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ط1، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر،1933م.
-العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005م.
-الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط1،مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس،2011م.

الإحالات:

([1]) ينظر: علوي، حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته – دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط1، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن،2010، ص(238).

([2]) ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث، بيروت، ج5، 1387هـ، ص(57).

([3]) ينظر: ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط10، دار المعارف، القاهرة، 1983م، ص(68).

([4]) برهومه، عيسى، المبيضين، ماهر، الخطاب السجالي في رسائل علي ومعاوية، مجلة دراسات، المجلد 43، ملحق 4،ص(1850).

([5]) ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م، ص(39).

([6]) ينظر: العمري، أكرم بن ضياء، عصر الخلافة الراشدة - محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1428هـ، ص(415).

([7]) ينظر: نفسه، ص(442).

([8]) ينظر: برهومه، عيسى، المبيضين، ماهر، الخطاب السجالي في رسائل علي ومعاوية، ص(1851)..

([9]) ينظر: بليث، هنريش، البلاغة والأسلوبية- نحو نموذج سيميائي لتحليل الخطاب-، ترجمة، محمد العمري، (د.ط)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1999م، ص(33-35).

([10]) ينظر: عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2 ، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص(38).

([11]) ينظر: الدريدي، سامية الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011م، ص(26-27).

([12]) ينظر: نفسه، ص(37).

([13]) ينظر: المرجع نفسه، ص(27).

(14) المرجع نفسه ، ص(27).

(15) ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،2004م، ص(465)وما بعدها.

(16) العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2005م ص(147).

(17) شكري، مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود،(د. ط)، ، منشورات كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية منوبة، تونس،(د. ت).

(18) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ط2، م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،2006م، ص(352)،ص(277).

(19) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان والتكوثر العقلي، ص (277).

(20) ينظر: شكري، مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص (370).

(21) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ط1، منتديات سور الأزبكية، الدار البيضاء، 2006م. ، ص(22).

(22) نفسه، ص(22).

(23) صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ط1، ، كلمة للنشر والتوزيع، بيروت، 2015م ص(119).

([24]) ينظر: العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص(89)، وينظر: صادق، مثنى كاظم، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص(97).

([25]) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص(30).

([26]) ينظر: حلاسة، هناء، بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين، ص(179).

(27) الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص(26).

(28) الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب، ص(507).